مظاهر السياحة الأدبية في رواية الملحد بقي بن يقظان للكاتب عبد الرشيد هميسي

مقاربة نقدية في ضوء النقد الثقافي

**The Features of Literary Tourism in the Novel: The Atheist Baqi Ben Yakdhan for The writer: Abd-Errashid Hemissi
A Critical Approach in The Light of Cultural Criticism**

شيماء مباركية،*1، نوال بومعزة 2

1 جامعة الوادي، (الجزائر)، mebarkia-chaima@univ-eloued.dz

2 جامعة الوادي، (الجزائر)، nawal-boumaza@univ-eloued.dz

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

تاريخ الإيداع: 2022/09/01 تاريخ المراجعة: 2023/02/12 تاريخ النشر: 2023/10/10

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تشكيل خطاب نقدي يرصد كيفية تأثير النصوص الأدبية بمختلف امتداداتها على السياحة، وذلك عبر تصوير الأمكنة وإبرازها بصورة جمالية تستقطب الآخر وتؤثر فيه لدرجة الرغبة الجامحة في زيارة المكان، واكتشاف الوقائع المختلفة باختلاف الثقافات، إذ يعبر الأديب عن ثقافة معينة من خلال وصف مختلف ثوابتها ومعتقداتها التي تميزها عن الثقافات الأخرى، على اعتبار أن علاقة الأدب بالسياحة علاقة وطيدة عرفت سابقا ب"أدب الرحلات"، إذ تهدف هذه الدراسة إلى فتح آفاق جديدة تسلط الضوء على الواقع الجزائري في مختلف المجالات ولاسيما الفكرية والاقتصادية منها، على اعتبار أن السياحة في الأدب عنصر فعال يؤثر على القارئ ويجعله يسافر بحواسه وخوالبه في أعماق الأدب، ليتعرف على حقيقة المكان ودوره في تحقيق التعدد والتنوع الثقافي والتعايش بين الشعوب. وعليه، إلى أي مدى يمكن للأدب في ظل الانفتاح على الفنون الأخرى ولاسيما السياحة أن يحقق مبدأ المثاقفة مع الآخر؟.

الكلمات المفتاحية: السياحة، المثاقفة، الرواية الجزائرية المعاصرة، الانفتاح، النقد الثقافي

Abstract:

This research is carried out to form a new critical discourse that examines the influence of the literary texts on tourism. The literary texts depict the different places in an artistic way that attracts the other and influences him/her to the extent that it creates in him/her the extreme desire to visit such a place. The writer describes a certain culture and presents its specificities and beliefs that are different from other cultures which makes the relationship between literature and tourism so solid since literature opens new insights about the Algerian reality in different domains. Literature makes the reader travels with his senses and emotions to the places that are artistically described and makes them concrete in the eyes of the reader. So, to what extent can literature and culture be mixed with the other and how can be contribute in energizing tourism?.

Key words: tourism, acculturation, Algerian modern novel , discourse

* المؤلف المراسل

تقديم:

ارتبط النص الروائي الجزائري منذ ظهوره بالواقع؛ فقد مثل مرآة عاكسة له من حيث مجالات عدة أهمها المجال الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، لذلك اهتمت الرواية الجزائرية في الكثير من الأحيان بالسياحة والسفر من خلال البحث في التيمات الداخلية للمتون الروائية، التي تحمل في طياتها شحنات ثقافية تحولها إلى دليل سياحي يرشد القارئ إلى أماكن جزائرية عريقة، ويخلدها من خلال التطرق لها فنيا ومنحها مساحة شاسعة في الكتابات الإبداعية خاصة في مرحلة ما بعد الكولونيالية Post Colonialism، من أجل إعطاءها بعدا جماليا خلايا يمنح للمبدع إمكانية الالتفات إلى قضية السياحة كقضية مهمة في الأدب والنقد، وذلك بالسعي إلى بلورة خطاب أدبي نقدي يسبر أغوار السياحة الأدبية في الجزائر ثم ترسيخ فكرة اكتشافها وزيارتها في أذهان وقلوب السياح القراء خاصة، بوصفها رافدا مهما من روافد النهوض الاقتصادي، والثقافي، والاجتماعي على حد سواء.

وقد سعى هذا البحث إلى مقارنة موضوع الأدب السياحي مقارنة نقدية تلتفت إلى موضوع السياحة الأدبية كموضوع مهم و مهمش في الآن نفسه، ومواكبة تحولاته كونه لم يسبق أن درس نقديا واقتصر عليه الأدب شعرا ونثرا. فما الغاية التي يروجها الكتاب الجزائريون من وصف المدن الجزائرية؟ وهل استطاع هؤلاء نشدان الهدف المبتغى من وراء وصف المكان على اعتبار أنه الواجهة الأساسية للسياحة؟ وهل تمثلت الرواية الجزائرية هي الأخرى الواقع الجزائري في مرحلة ما بعد الكولونيالية؟ وإلى أي مدى ساهمت في تحقيق البعد البراغماتي للأدب؟.

1- الرواية الجزائرية في ظل التفرقع الأجناسي:

أ- في مفهوم الرواية

يعد الخطاب الروائي من بين الأنواع الأدبية التي انفتحت بشكل كبير على مختلف الفنون الأخرى: شعرا وموسيقى وفنون تشكيلية.. على اعتبار أنه جنس أدبي قاوم بشكل أو بآخر سلطة التراث الأدبي الذي كان يقتصر حقيقة في الشعر كثابت مهيم على الأدب العربي لزمان متقدم. والرواية في مفهومها اللغوي مأخوذة من الجذر الثلاثي (روى) التي وردت في معجم لسان العرب: «روى الحديث والشعر يرويه رواية وترواه، وفي حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: "ترووا شعر حجية بن المضرب فإنه يعين على البر"، ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته»¹، ومفاد هذا التعريف اللغوي يصب في النقل والإنشاد والتلذذ برواية الشعر على سبيل الحصر، ومختلف الأجناس الأخرى على سبيل التعميم، على اعتبار أن الرواية على وجه الخصوص قادرة على نقل واستيعاب أحداث الواقع والتعبير عن مختلف ملامحه الاجتماعية، فقد انزاح المفهوم من اقتصره على رواية الشعر فقط إلى النثر أيضا.

أما في الاصطلاح، يحدها الدكتور عبد الملك مرتاض بتعريف شاعري في كتابه: "في نظرية الرواية" بأنها: «النثر الفني بمعناه العالي... والرواية عالم شديد التعقيد، متناهي التركيب، متداخل الأصول، إنها جنس

سردى منتور لأنها ابنة الملحمة والشعر الغنائي والأدب الشفوي ذي الطبيعة السردية جميعا من أجل ذلك نلني الرواية تتخذ لها لغة سهلة الفهم»²؛ فقد شهدت الرواية منذ بدايتها في القرن الثامن عشر مع إبداعات والتر سكوت (1771-1832) الذي فتح باب الرواية الشعبية والتاريخية على مصراعيه حتى يتسنى للمبدع توظيف مختلف المعطيات الاجتماعية ويحقق مبدأ الانفتاح على مختلف مجالات الواقع.

ثم انتقلت الرواية بعد ذلك إلى العالم العربي وانتشرت بسرعة فائقة بسبب مقاربتها للواقع من جهة، ثم قدرتها على تغيير مختلف الوقائع الاجتماعية المتهرئة التي سببها الكولونيال؛ فقد ورد في كتاب: "المتخيل الروائي سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا" أن الرواية العربية قد انطلقت: «في مشروعها السردى الحديث من تلك الأحداث الجسام التي تناوب عليها وقوعها الفجائعي في الأرض العربية مرة إثر مرة، فكانت المادة الخام التي يحاول الروائي العربي خلقها روايا وإعادة تشكيلها سرديا، ولعل من أكثرها ارتباطا بمسار الرواية العربية: أحداث الخامس من حزيران عام 1967، والتأكيد على هذا الحدث المأساوي بالذات لا يعني أنه كان السبب المباشر في ظهورها ولكن هذا الحدث الخطير وما اتصل به من أحداث سبقتة ولحقته، منح الرواية العربية دفقا وتوهجا دفع بها إلى ضفاف الرواية العالمية»³؛ فالواقع المأساوي الذي خلفته الحروب ساهم في بروز الرواية بشكل مستعجل لمحاولة انتشار الواقع العربي من خناق المستعمر.

ب-انفتاح الرواية الجزائرية المعاصرة على الفنون:

يعتبر الخطاب الروائي خطابا متجددا نظرا لتقدم المجتمعات وتطورها ولاسيما في مرحلة الحداثة الأدبية؛ فقد «ترافقت مرحلة النضج هذه، مع بروز النزعة الواقعية وانتشارها، في مجال الأدب عامة والرواية خاصة، حتى غطت على تلك الاتجاهات الرومانسية والوجودية والتراثية وغيرها، التي سادت خلال النصف الأول من القرن العشرين. وأصبحت الرواية الواقعية منذ بداية الخمسينات هي المعبرة، حقيقة، عن المشهد الروائي العربي»⁴؛ لذلك تعتبر الرواية الجزائرية بشكل خاص انعكاسا للواقع ما بعد الكولونيالي؛ فقد حاول الروائيون الجزائريون الانفتاح على مختلف المجالات سعيا لخدمة هذا الراهن. فقد «شاعت منذ أواخر السبعينيات قولة باتت ترددها الأفواه والأقلام، وتشنف بها الأسماع. فمؤدى هذه المقولة: الرواية العربية ديوان العرب في القرن الواحد والعشرين. لا يمكن لأي كان أن يجادل في التطور الذي عرفته الرواية العربية منذ نشأتها إلى الآن»⁵، فالشعر مثلا قد شهد اختلافا عميقا من حيث الشكل وكذا المضمون ولم يعد قادرا على نقل الواقع بدفقة شعورية صادقة وواقعية، وفي المقابل مثلت الرواية مجالا رحبا لمختلف القضايا الشائكة التي قد يعجز الشعر وقتذاك على مقاربتها بنفس الدفقة الواقعية التي تمتلكها الرواية وما شهدته من تطور ينتقل بها من التاريخ إلى المجتمع والثقافة وحتى مختلف المجالات الأخرى، إذ تعتقد يمنى العيد أن: «هذا المروي له، في معظم الروايات العربية، علاقة بالمرجع الحي، أي المعيش، يمكنني القول بأن الثقافة العربية، ومن حيث العلاقة بينها وبين هذا المرجع، ومن حيث هي -وباعتبار هذه العلاقة- ثقافة المتداول، المهمش، أو، حسب بورديو، ثقافة الهامشي.. إن هذه الثقافة العربية قادرة على أن توفر إمكانية لصياغة خطاب روائي عربي لا تعيقه مقولة باختين في نظرية الرواية»⁶، فنقاء الجنس الباختيني في الأدب لم يعد موضوعة، فالراهن الجزائري مثلا يقتضي تدخلا مستعجلا من

الأقلام الإبداعية لانتشار الواقع من النكبات المتكررة التي طالت البنية الاجتماعية الجزائرية، وخلفت آثارا وخيمة على الشعب والواقع أيضا (العشرية السوداء مثلا) لذلك كانت السياحة سبيلا ينتهجه روائيو تلك المرحلة الصعبة التي مرت بها الجزائر.

2- مظاهر السياحة الأدبية في الرواية الجزائرية:

أ- في مفهوم السياحة:

في مستهل الحديث عن السياحة، يبدو أنها تمتلك شرعية تحرير البلدان من التخلف والتقهقر؛ فقد امتلكت هاته الأخيرة الحق في أن تكون جزءا مهما من الفن، كونها تنتقل من مجال إلى آخر بقابلية كبيرة تتيح لها أن تسبر أغوار مختلف الميادين. فقد: «أصبحت صناعة السفر والسياحة من الصناعات الهامة في العالم، حيث تعتمد عليها معظم الدول كمصدر أولي للعوائد.. ولذلك فإن التوجه للسياحة وخاصة في الدول النامية، يكون مفيدا ضروريا خاصة عندما تكون مسارات التنمية في القطاعات الأخرى ضعيفة الجدوى أو تواجه عوائق كقلة الخبرة أو انعدام التكنولوجيا»⁷، ويبدو أن مجال السياحة رحب، إذ يتجلى في أشكال كثيرة منها: السياحة الثقافية، والدينية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها من الأنواع التي تبتغي غاية واحدة، تتمثل في رقي البلدان وتطورها. إذ يعتقد نقولا ميشال فتوش أن: «سياحة القرن الواحد والعشرين هدفها الانسان المعطي والإنسان المتلقي، أي الانسان في كامل تألقه مشبعا بأجواء السلام والمحبة والهناء»⁸؛ فالسياحة تعمل على تحقيق التواصل بين الأنا والآخر، وتحارب الانغلاق الثقافي الذي نتج عنه تدهور اجتماعي بالدرجة الأولى، إضافة إلى الانحلال الثقافي والانحدار الاقتصادي الذي تأثر بهذا الانغلاق؛ ف«منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بدأت الدول ترسم حدودها الثابتة، وتصدر التشريعات والأنظمة وإجراءات تخص السفر والسياحة»⁹؛ وقد انعكس هذا الانغلاق السلبي على دول العالم النامية خصوصا، لعدم قدرتها على مواكبة التحولات التي صيغت في العصر المعاصر في مختلف الميادين، بالقدر الذي تمكنت منه الدول الغربية، بوصفها قوى عظمى قادرة على استدراك النكبات التي تحل بالمجتمع الأوروبي بين الحين والآخر (قوى اقتصادية، بشرية، سياسية، تكنولوجية) منحت لنفسها الحق في الوصاية على العالم.

ب- السياحة الأدبية في الرواية الجزائرية المعاصرة

وعلى هذا الأساس، انتقلت السياحة إلى مجال الفن والأدب، وأصبح هناك مفهوم يتعلق بالسياحة الأدبية؛ فقد باتت ملاذ الكثير من الأدباء والمبدعين الجزائريين؛ إذ راح هؤلاء يدرجون المكان بشاعرية كبيرة في خضم أعمالهم الأدبية ولاسيما الرواية، التي شهدت وصفا خارقا للأمكنة بمختلف أنواعها، فالمكان: «بؤرة حاضنة للسرد وملاذ لا يكتمل العمل من دونه. وهنا تصدق على المكان النبوءة من خلال الاكتشاف والمغامرة الجمالية للنص الروائي والتغلغل في مسامات المكان»¹⁰، ذلك أن المكان هو الوجه الأول للسياحة، فلا يكاد يخلو عمل أدبي من المكان لما يمثله من دور مهم في الترويج السياحي واستقطاب السياح إلى الجزائر لزيارة مختلف

الهيكل العمرانية والطبيعية التي تحتوي عليها الجزائر والتي تمثل ثروة يوظفها المبدع في أعماله الأدبية من أجل التغني بها وبدورها في تنشيط الاستثمار في الجزائر.

ويضيف جمال بدران عامل المتعة إلى الأدب السياحي، فيقول: «كما أن من مهام الأدب السياحي... التعريف والإمتاع والإبهار،.. ولا هم له إلا إجادة تغليف هذه الخدمات السياحية بصياغة شائقة لتجسيد صدى الماضي بصوت مدو معاصر، تستسيغه أذواق الغرباء وحواسهم، وهذا بدوره بالإمكان أن يكون منفذا إلى عالمية هذا الأدب»¹¹، فجمال المكان ورونق الطبيعة في بلاد ما، تصنع وظيفة السائح المرتحل في بقاع الأرض من مجرد زائر يستمتع إلى سائح مفكر: «للسائح فلسفة غريبة، فهو يترك الأمان للمخاطرة، والوهن المرصود في حياة الراحة، للحلم السخي. يترك المستقبل المنشود، لبحث في مفارق الطرق عن الضياع. وكثيرا ما تعثره المفاجآت. إنه التطلب والمطلب الصعب. لأننا في سياحتنا، في أيما سياحة، نطلب عالما جديدا لا يكرر نفسه، ولا هو مما شاهدناه قبلا، وارتحنا إليه»¹²؛ فما تبتغيه سياحة اليوم هو الربط الوثيق بين المجتمعات والشعوب، لأن هذا الربط يؤدي إلى توطيد العلاقات بين مختلف بلدان العالم، والتعرف على ثقافة مغايرة وتحقيق التآخذ بين الأفكار والمعارف كمبدأ ممتد منذ أول أيام الفكر¹³، فمساهمة السياحة في معرفة الآخر لها تاريخ ممتد إلى بدايات الانسان نفسه منذ انفتح فكره على ضرورة الارتحال من مكان إلى آخر لغايات مختلفة أهمها البحث والتقصي عن الكلا والعيش والترحال: «ومن ثم فلا غضاضة من أن نقرن الأدب الحالي بفرع منه اسمه الأدب السياحي.. ولا مفر من التسليم بحقيقة واقعة.. هي تحليل الأدب السياحي إلى جذوره العريقة التي تتحدد في أربعة.. أدب الوصف، وأدب الرحلات، وأدب المجالسة والمنادمة، وأدب شعبي أيضا»¹⁴، فالأدب السياحي لا ينفي طابع المتعة الأدبية بل يحاول جاهدا أن يبرز طابعا متواريا للأدب يتمثل في الطابع البراغماتي الذي يجعل من هذا الأخير سلاحا لمحاربة التقهقر في مختلف صورته.

وعلى اثر ذلك، لم تفلت الرواية من موضوع السياحة بوصفها أكثر الأجناس جرأة، فالقدرة التي تمتلكها الرواية سمحت لها أن تلج إلى عمق الواقع وانشغلت بانشغالاته، فقد كان: «الاهتمام بهذه المحاولات "المتمردة" عن قواعد الكتابة القصصية التي كانت سائدة خلال الخمسينيات والستينيات، والمشككة في جدوى تلك المسلمات التي تحكم إبداع الرواية وتلقمها... باعتبارها كلا متجانسا، أو كلا يقوم-على الأقل- على جملة من القواسم المشتركة التي تجمع بين تعدده، وتميزه عن سابقه؛ ثم النظر ثانيا في مدى الإضافة التي يمكن أن تقدمها هذه المحاولات للرواية العربية التي تلج قرنا جديدا»¹⁵، فالخطاب الروائي بوصفه وعاء اجتماعي يقوى على استقطاب مجالات مختلفة للخوض في غمارها، منها المجال السياحي، الذي يصور تلك الآثار العجيبة والأماكن الخلابية الساحرة التي انكب عليها الفنان والروائي واستغلها لإعادة بلورة عالم جميل، يستقطب السياح من كل مكان في رحابه، بدوافع متفاوتة من سائح إلى آخر داخل هذا المجتمع الإنساني دائم التحول والتغير بحسب ما يقتضيه الواقع: (معرفية، تجارية، ثقافية، براغماتية)، فمن الطبيعي: «أن العرب لم يبدؤوا في تمثيل الخبرات الخاصة بهم إلا بعد رسوخ قدمهم وازدياد معارفهم العلمية. حتى أنه يمكن القول بأن مصنفات المسلمين لم تنشأ فرعا متميزا بنفسه عن فروع التأليف الأخرى إلا بعد عام 800 للميلاد. فعظمة الدولة في ذلك الحين هيأت لهم آفاق الاتصال القوي مع غيرهم عن طريق السفارات والبعثات مما فتح لهم أبواب معرفة علمية جديدة

عرفوا من خلالها أخبار مجاورهم معرفة دقيقة»¹⁶ ، ومن ذلك يعتبر الكشف عن عوالم الرواية جميعها تجربة غامضة قد لا تؤدي إلى نتيجة واضحة باعتبار امتداداتها التي نعتت في مجالات الحياة دون ريبة لمواكبة مجريات الواقع والتجذر في أعماقه.

وإن كان ظهور الرواية عند العرب متأخر بنظيره الغربي ولاسيما في الجزائر، بسبب ظروف مختلفة ساهمت في عرقلة الحركة الفكرية في الجزائر للحط من ثقافتها وهويتها؛ لذلك شكلت هاته الأخيرة حيزا كبيرا من كتابات المبدعين الجزائريين الذين دفعهم الواجب الوطني إلى الاحتفاء بالمكان وضرورة تنشيط السياحة الجزائرية أمثال: محمد ديب، السعيد بوطاجين، الحبيب السائح، فضيلة الفاروق، زهور ونيسي، أحلام مستغانمي. فقد شهدت بداية الألفية الأخيرة: «عودة المياه إلى مجاريها وعودة المثقفين والكتاب من ديار الغربة، مع بدء الإصلاحات التي تركز لوطنية جديدة لا تقصي الانفتاح على الآخر»¹⁷ ، وغير أولئك كثيرون ممن عمدوا على تعزيز بنية المكان في رواياتهم المختلفة، بغية التعريف بالجزائر في مختلف نواحيها، حتى بات المكان يشغل مساحة قدسية عند هؤلاء الذين ينتسبون كيانيا وإبداعيا إلى هاته الأرض، التي لا بد أن يتعرف العالم على حقيقة وجدانها وروعها بين المدن.

3- مظاهر السياحة الأدبية في رواية الملحد بقي بن يقظان للكاتب عبد الرشيد هميسي

يحاول الكاتب الجزائري عبد الرشيد هميسي في روايته الموسومة ب"الملحد بقي بن يقظان" بناء إستراتيجية سوسيونقدية: «وبما أننا نمر في مرحلتنا الثقافية الراهنة بحال من المراجعة النقدية الذاتية، فإن ذلك هو ما يفرض السؤال المرحلي المتشكك على نظريات النقد والحداثة»¹⁸ ، فالإستراتيجية التي يسعى إليها هميسي تخترق النسق المؤسسي، الذي نظم وفقه الإبداع الأدبي كنسق يخضع الأديب لقواعده وقوانينه الخاصة التي تطغى على الأدب وتمثل مركز له. فالخوض في مختلف القضايا الاجتماعية الراهنة لم يكن من اهتمامات الأدب فقد حاول بطريقة أو بأخرى التطرق لبعض القضايا الشائكة التي باتت تمثل هاجسا يطارده الإنسان ويحول دون وعيه بمحيطه.

فقد تطرق الروائي إلى المكان والدين والهوية والشذوذ الاجتماعي، وغيرها من القضايا الهامشية التي باتت تهدد الواقع الجزائري خصوصا، بوصفه مجتمعا بات يعاني أزمة الوعي الشقي بشكل متفاقم عما كان عليه سابقا بعد النكبات المتوالية على أصل بنيته الاجتماعية على اعتبار أنه: «تعال مطلق يلقي بالمؤمن في غياب مزدوج: فهو يدفنه في الماضي مثلما يرمي به نحو المستقبل... بين الإيمان واليأس، فانه يجعل الشقي غريبا عن ذاته، خارجا عن الزمن»¹⁹ ، فالفرد العربي عامة والجزائري خاصة اغترب عن واقعه في ظل الانفتاح المباشر على الغرب، الذي ساهم في هذا التأسيس لهذا الاغتراب وتنصل الشعب من الواقع الذي استقبل من القضايا ما لا تبيحه الثقافة الجزائرية له ولا تعترف به. يقول الروائي في هذا الصدد: «استطعت أن أكتف ضحكي لكلي لم أستطع ألا أسخر من جهل مختار وبدواته سرا، عن أي جن يا مختار تتحدث؟! لا وجود لهذه المخلوقات إلا في رأسك وفي القرآن الذي تقرؤونه صباحا ومساء، وهو الذي نقل إليكم ترهاته، ولو أنه أخبركم أن هناك مخلوقات نصفها آدمي ونصفها الآخر من الجن لأمنتكم بما أخبركم، لأنكم لا تملكون إلا الإيمان الساذج الذي يرد همة

الانسان ويعطل عقله العظيم عن أن يكشف الحقائق وحده دون وصاية أحد، الإيمان- في النهاية- جاء ليكسر شوكة الانسان المتحرر من أي وصاية، ويقتل فيه غريزة البحث والتكشف عن الحقائق»²⁰ ، فالإنسان الخاضع حقا هو ذلك الذي يسجن نفسه في جيروت اللوغوس المتعالي دون البحث والتقصي، ولا يقصد هنا القرآن بعينه بقدر ما يقصد به عبودية الانسان وعجزه عن إدراك حقائق الأشياء، ووقوفه ثابتا أمام المسلمات التي ظلت صامدة زمنا طويلا رغم التطور الذي بلغه الانسان من علم ومعرفة، تمكنه من ثقافة السؤال وحب التطلع، كضرورة لا بد منها لمحاربة الثوابت التي سجن الانسان وجعلته حبيس أفكار بائدة كالأساطير والخرافات التي مثلت فنا للعيش، ومثال ذلك في الرواية يقول الروائي: «عندما يفتح معلمي (جوزيف ماكرو) الكتاب المقدس ليطير منه كلماته المملوءة بالنور، لا أتحمس كسابق عهدي، كنت كأني تلميذ، أستهلك الكلمات والجمل بشهية عادية قنوعة، ولم ينجح هذا المشهد الذي كان مقدسا أن يحلب من عيني دموعين ساخنتين. فلاحظ معلمي ذلك، فتساءل عن تغير عاداتي... "أسيادي رجال الدين لا يقعون في الخطيئة". هذا اليقين عندما سقطت تجلت لي زوايا جديدة للنظر»²¹ ، فقد حاول عبد الرشيد هميسي سلطنة المساجد والإسلام وعقيدة المسلمين من خلال طرحه هذا، ليقبل مفهوم الكنيسة باعتبارها وجهة للضلال والضياع، ترمي بالمؤمن في غياهب الجب، فالروائي حاول أن يلفت النظر إلى ضرورة التشبث بالدين الإسلامي بوصفه أقوم الديانات السماوية.

أ-صورة الصحراء في الرواية

يبدو أنه من الضروري أن نتطرق بداية إلى الهوامش التي اشتغل عليها الروائي عبد الرشيد هميسي، فصورة الصحراء في الواقع الجزائري تمثل نسقا مضمرا: «إن الشعر كان هو المخزن الخطر لهذه الأنساق وهو الجرثومة المتسترة بالجماليات، وقد ظلت تفعل فعلها وتفرض نماذجها جيلا بعد جيل ليس في الخطاب الشعري فحسب بل في كل التجليات الثقافية بدءا من النثر الذي تشعرن منذ وقت مبكر»²² ، ففي لحظة ما كان الشعر مهيمنا على الأدب، يترفع عن قضايا الراهن، فهو يخفي في طياته العديد من الملابس التي يخشى هذا المجتمع الإفصاح عنها. يقول الروائي: «ما مر في ظني يوما أن الحياة تستطيع أن تهيب بكل هذا السخاء! أتراها أخطأت عطيتها؟! وهل هو القدر أو الحظ الذي أخذني من باريس الباذخة إلى جنوب الجزائر كي أتعثر بك في قرية مرمية في الصحراء؟! ما أعظم الحياة حين تهبنا أكثر مما نتوقع!»²³ ، فالمركز الذي قام الروائي عبد الرشيد هميسي بتهميشه هو جمال "باريس"، فلفظة "باريس" تدل على شدة الروعة والجمال مقارنة بمعطيات الصحراء؛ فمتى يصبح الجنوب الجزائري خصيصة اجتماعية ثابتة مثل الشمال؟ يكون ذلك عندما يعمد الروائي المبدع على عقد العزم من أجل التعريف ببلده والرقى بها، من كونها قضية مهمشة إلى ضرورة كونها أرقى من ذلك باعتبارها ثروة ربانية لا يحسن سكان الجنوب والجزائر عامة استغلالها والاستنفاع بها.

وفي هذا الصدد، يتغنى فتوش بالجنوب وبما يقدمه للكيان البشري من عطايا، يقول: «في الجنوب تتداخل العوالم مثلما تتداخل الأفراح بالمآسي ومثلما يتداخل جوهر الليل في سماوات النور. في أيما عالم هناك حدود وسدود وفي الجنوب عوالم إن بدأت بها لا تجد لها نهايات. كل البدايات تتجمع هناك وتنطلق»²⁴ ، لذلك

كانت الغاية ضرورية للالتفات إلى مناطق الظل التي أغفلت في مقابل الشمال الجزائري، إذ قلت الأقلام التي تتحدث عن الصحراء، وقلت الكتابة حولها بسبب الصورة التي رسمت عنها مسبقا ورسخت في الذهنية العربية.

كما لا تستطيع المدن الزرقاء التي لا تقلل من قيمة الصحراء، بقدر ما تنافسها في الهباء الذي دفع بالروائي إلى إبراز أهم الملامح الوجدانية للجنوب، فيصفها بالشقية المراوغة التي تجذب أبناءها إليها كلما أضعوا سبيل العودة إليها، يقول: «لقد سرقطني أيها الشقية! سرقطني من نفسي ومن المتاهات التي كنت ضائعا فيها أخرجت من قلبي باريس الباذخة و"ماري" وملكته إلى الأبد.»²⁵، فالصحراء باتت وجهة ضرورية من الوجهات التي على السياح مباشرتها، والتمتع برمالها الذهبية الفاقع لونها والتداوي بها، وإدراك مدى سحرها وشموخ أنثائها في صدق مشاعرها: «أذكرين الليلة التي سهرناها حتى الفجر قرب نخلتين شامختين؟ لم يكن بيننا كلام كثير، ولكن كان يولد بيننا عشق عظيم، فما غادرت المكان إلا وأنا مسكون بك.»²⁶، فمعنى أن يتعلق الوجدان بمكان أو شخص، هو دليل على قيمة ذلك الفضاء، وقدرته على جذب النفس وإقامتها الروحية في أرجائه.

وفي مقام آخر، لا ينأى عبد الرشيد هميسي عن التطرق إلى أهم مناطق الصحراء الجزائرية منطقة "حاسي خليفة" وهي بلدية تابعة لولاية الوادي تقع بين "الديبلة" و"الطالب العربي" تبعد عن الوادي: «طالعنا نخيل "حاسي خليفة" بلونه الأخضر الداكن، وبطوله الشاهق وكأنه يستطلع القادمين ليخبر البلدة بقدمهم. وعلى أطراف الطريق رأينا جمالات يسترزقن بما جادت به الأرض. أما الشمس فقد نأت إلى الأفق لتغرق فيه تاركة وراء الأشياء ظلالات أطول منها بكثير»²⁷، فالهامش/الصحراء أصبح رمزا للجمال يتعلق به المرء ويحن لرؤيته والعيش في رحابه للتعرف على جماله الطبيعي بين النخيل والرمال، التي يألفها السائح قبل القاطن فيها. يقول هميسي في هذا السياق: «استلقيت على الرمل الناعم مسرعا بصري نحو السماء أتنعم بالقمر الساهر مع جميع البشر، المؤنس لكل مسافر، فأخذني النوم وأنا أفكر في الذي سيؤول إليه أمري»²⁸، ذلك أن الروائي لاحظ أن هناك طابعا خاصا في مكونات الصحراء، تكاد تتخذ دور الانسان في مواساة أخيه الانسان وتحمل همومه ومشاقه في الحياة، التي باتت تنكل بالإنسان وتحرمه لذة العيش بسلام، ففي الصحراء منأى للغريب والوحيد، وفي أناسها الخليل والرفيق، فهو الدافع الذي دفع عبد الرشيد إلى إبراز هاته المناطق في خضم روايته التي يقوم فيها مقام المدافع عن الدين والهوية والمكان. يقول: «كانوا يقرؤون ويتميلون كأنهم يستلذون بفعلهم هذا. يتوسطهم رجل له جبة بيضاء وعمامة، لم أتبين ملامحه لأننا كنا نراه من الخلف، قال لنا مختار إنه إمام المسجد، واسمه سي الأمين. فالتفت إلينا وأوقف بصره علي، عيناه كعيني نبي حزين. فمهما شيء لم أره في عيني مختار أو غيره من رجال البادية، لذلك لم أستطع أن أدفع عن قلبي شعور الانجذاب لهذا الرجل عند أول مرة رأيته فيها»²⁹، فدلالة الأسماء التي وقع عليها الاختيار "سي الأمين، مختار،.. تحمل معنى الرحمة والصدق والأمانة في هؤلاء الناس، الذين لم تستطع البيئة الوعرة والقاحلة التي يعيشون فيها أن تغير من صفاتهم النبيلة التي لا تبرز للغريب إلا حينما يقترب حقا من هاته المناطق، التي عرفت بأنها مناطق وحشية خطيرة وقاسية لا تحتمل كتبناها أن تطأ فيها قدم هذا الغريب.

ب- الصحراء الجزائرية: الثروة والتحديات

إضافة إلى الصفات الوجدانية والروحية، لا تخلو الصحراء من فضاءها المادي الذي لم يغفل الروائي على التطرق إليه كمكون رئيسي من مكونات الجنوب "الفلفل، القرع، البلح، البطيخ،.." فالبيئة الصحراوية غنية بمكونات طبيعية تحقق الاكتفاء الذاتي الذي ينوه له الروائي: «في البستان نخل كثير، وخليط الروائح المنبعثة منه تنعش؛ البلح، والقرع، والفلفل، والبطيخ، والعنب والتفاح والرمل المبلل... أما القمر فقد كان ينشر ضوءه الفضي على النخيل والأشجار كأنه يبسط سلطانه عليهما، فتتلون الأرض بالفضة والسواد، وتتماهى الأشياء وتتماهى الفوارق كأنها ما كانت متميزة في النهار.»³⁰، فقد فرضت الصحراء وجودها بما تمتلكه من ثروات تساهم في حقيقة الأمر بشكل كبير في النهوض الاقتصادي الجزائري، لاسيما وأن أراضيها الصفراء تحتوي على الذهب الأسود الذي يعتبر ركيزة من ركائز النهوض الاقتصادي، إضافة إلى الزرع والثمر الذي حول الصحراء الذهبية إلى جنة خضراء تتوفر فيها كل سبل العيش: «لا يكاد بيت يخلو من نخلة تتوسط الحوش وكأنها سيده مطاعة، أو هي خارج البيت تحرسه من أعدائه»³¹، فالروائي يتعامل مع معطيات الصحراء بحواسه وجوارحه فيجعل من الأشياء أشخاصا ويؤنسها لمدى أهميتها لدى الكاتب.

ومن خلال التركيز البنوية المكانية في الأعمال الأدبية الجزائرية، فقد قلب عبد الرشيد هميسي صورة البيئة الوعرة المفتوحة نحو المجهول ذات الرمال الخادعة والطبيعة الجرداء، إلى مفهوم آخر من شأنه أن يستقطب الوعي الإنساني للتأمل في الصحراء، وفي جوهرها الذي يستقبل السياح من مختلف بلدان العالم كل سنة، للتعرف على عادات المنطقة وتقاليدها التي تجعلها متفردة عن الآخرين من ولايات الشمال والشرق الجزائري. يقول: «عند الظهيرة تناولنا الغداء وكان كسكسا مغطى بمرق أحمر عليه لطخة من سمن، يتوسط ذلك كله هبرة عظيمة، أكلنا وارتويينا لبنا وماء»³²، فمن العادة أن يستقبل الجزائريون الغرب عنهم أو القريب بصحن من "الكسكس"، كعربون محبة ومودة، ويعرف عندهم بمصطلح يشتهر كثيرا في رحاب الولايات الجزائرية ب"الملح"، فأن تأكل الملح في أحد البيوت الجزائرية معناه أنك أصبحت فردا منهم مهما كانت صفتك، فذلك الجبروت المتصنع يتلاشى ما أن دق بابهم غريب أو عابر سبيل، حتى تفتح الأبواب كلها وتتنافس على المنح والعطاء.

ج- ثوابت السياحة في الجنوب الجزائري

ربما كان من الضروري في خضم الحديث عن المسلمات والعقائد الراسخة أن الانسان لا يستطيع الانفصال عن هويته أو لغته أو دينه الذي يمنحه القوة والسلام الداخلي، فحين يشعر الانسان بالانتماء فذلك يعزز في نفسه الأمن والأمان. يقول عبد الرشيد: «سألته متجاهلا: "ما الذي كنت تلقنه الصبية؟" فرد: "القرآن". فقلت "وما هو؟" فقال: "هو كلام الله المعجز، فيه النور والهداية وهو عناية الله بنا إذ فيه طريق سعادتنا، وسر وجودنا، وسر البداية والنهاية"... أعدت كلامه على نفسي كي أجد فيه مدخلا لتفنيده، ثم سألته: " وهل وجدت تلك السعادة وأنت في شظف العيش وسط هذه الصحراء القاسية؟" تنهد وأجاب: "الانسان إذا عشق ربه حق العشق فان كل الأشياء دون الله تغدو ترابا، وتستوي عنده الحياة بحلوها ومرها، فلا زينتها تأخذ ولا هجنتها

تصده" ³³ ، فحالة التيه والشقاء التي تعيشها الانسان تتنابه بعد إعلان غربته على معتقده ولغته وأصله، فحينما يفقد الانسان أصوله لا فرع سيقبل إيواؤه بعدها لأن الأصل معدن البشر

ولا يتوانى عبد الرشيد هميسي في طيات روايته عن قلب المفاهيم التي عرفها الانسان أنفا عن الصحراء ، فحتى لون البشرة خاض فيه باعتباره قضية اجتماعية بالية تميز العوالم عن بعضها على اعتبار أن الأبيض له فضل على الأسود، وإن كان ديننا الحنيف يحرم هذا التمايز، فهذا لم يمنع البعض من تهميش الآخر للونه أو دينه ومعتقده، وهاته الصور السلبية التي انحدرت منذ الأزل إلى العالم ظلت صامدة تؤرق الكائن البشري وتشكك في يقينياته، فما أن يرى الانسان اللون الأسود حتى يتشاءم ويشمئز ويبيدي ردة فعل غريبة؛ وهو الأمر الذي خلق صراعات لا متناهية بين البلدان وحتى في المجتمع الواحد: «قررت أن أعرف ما الذي تنوي هذه الغرة فعله، وما قصدها من هذه الإثارة. فتواريت وراء جذع نخلة وانتظرت قدومها، فجاءت ولكن لا خشخشة في مشيتها كأنها لا تطأ الأرض، فلما دنت من النخلة برزت لها فإذا هي شابة فاتنة لها بشرة بيضاء منعمة وعينان واسعتان وملامح رقيقة كأنها انتقت ملامحها بنفسها ولا أحد فرض عليها شيئا. أستطيع أن أقول: كأنها خلقت نفسها كما تشتهي» ³⁴ ، فالجمال الصحراوي صارخ لافت، ينسجم مع البيئة تخلق عجائبية تتجاوز الواقع إلى رسم صورة من خيال حول تركيبة هاته الصورة التي تبث في النفس المتعة في تأمل فتنة نساء الجنوب.

على هذا النحو، يواصل هميسي تجربته النقدية في نقد الثقافة الجزائرية وقلب مفاهيمها العالقة في الذهنية العربية، التي عملت جاهدة على إزاحة الكثير من قضايا الواقع، بالابتعاد الحقائق الاجتماعية في هذا المجتمع ويحاول الهروب إلى بيئة يرسمها في مخياله، لكن الحنين إلى هذا الواقع المزيف الذي لا يعترف به طالما عاد به أدراجه إلى المجتمع بكل ملابساته ونقائصه. يقول الكاتب: «أثناء الطريق تأملت بيوتهم المبنية من الجبس حيطانها قصيرة، أسقف غرفهم قباب، أكثر جدرانها غير مدهونة، لونها بني من أثر سطوع الشمس المتكرر، وكأن الشمس امتصت بياض الجبس، ملمسها خشن وكثير منها مشقق. أبوابها من خشب رديء وهي مفتوحة لا تقفل أبدا وكان هذه البادية تصالحت مع شطارها» ³⁵ ، فهذا الانفصال المريع هو الذي خلق مجتمعا طبقيًا تكشف بنيته عن واقع مريع يعيشه المرء، لذلك حاول الروائي أن يعكس صورة هذا المجتمع ويصوره في أبهى حلة لينشر شكلا من أشكال الوعي الجديد بحقيقة الجزائر في مختلف امتداداتها. يقول: «تملطني وتمليتها فشعرت أن شيئا ما يحدث بيننا. ولما دقت النظر في عينها أكثر سمعتهما تقولان لي: "هنا منتهاك، لا مهرب لك ولا مأوى. ضع فينا تلق رشدك" ولت وتركتني نهبا لأسئلة الليل الممقر» ³⁶ ، فقد مثلت الصحراء صورة المحب الذي يمد ذراعيه ليتلقف اللاجئ إليه بكل ود، فتتحول من طبيعتها الوحشية إلى ملاك يرشدك في ظلمات البر والبحر. فالسياحة: «كتاب يقرؤك قبل أن تقرأه، يساعدك قبل أن تبادر، يحبك قبل أن تلهج، يصطفيك قبل أن تهيبا... لقد مزجنا بين السياحة وخصوصية الوطن، فصار كأننا إذا ما سألنا عن الوطن أجابتنا السياحة نفسها» ³⁷ ، ومن جهة أخرى فالإحساس بالانتماء إلى مكان ما يخلص الانسان من غربته التي تراوده حين مفارقة أحضان هذا المكان الذي يبث في روحه الحياة كلما شعر بالفناء، فحنين الروح إلى مسقط الرأس مزروع في كل البشر، إذ يعتبر المكان بمثابة أم حنون لا يقوى على فراقها فهي تحنو عليه وتقدم كل ما تملك في سبيل إرضائه، فمكانة السياحة عظيمة الشأن، وذلك راجع إلى تجذرها في عمق الزمن، فالسياحة تصف المكان بشاعرية تدعو المتلقي إلى التأمل

فيها ومن ثم بلوغ الأسباب التي تبرر زيارتها والتغني بها، واستكناه آثارها العريقة وتاريخها المجيد، الذي يحمل في طياته أسراراً حضارية يتفنن المبدع في سردها للقارئ فالأدب خطاب لا يتوانى في الانفتاح على سائر الخطابات الأخرى المعرفية والإنسانية وحتى الثقافية؛ فقد شكل هذا الأخير حلقة وصل بين أقطار العالم بوصفه إستراتيجية لغوية ذات وظائف متنوعة، فلا يقتصر على المتعة فقط كما يصنفه الكثيرون. يقول: «أتعرف حاسي خليفة؟ أجاب إنها جنوباً، وأنه سيمر بها. أقلني على بعيره وانطلقنا، التفت إلى مأوي الذي نصبته من شجر الزيتا، وإلى بئري الذي غطيته بالحلفاء وحففته بنبته الشويكة، شعرت بالألفة معهما ومع الهوام التي عاشرتها ثلاثة أشهر أو أزيد. لم أدر قبلاً أن للهوام أنسا! وأيضاً إني عرفت الله في هذا المكان فكيف لا آنس به»³⁸، فقد أصبحت الصحراء وجهة الزاهدين ممن يريدون وجه الله، أولئك الذين خذلهم الحياة خذلانا مبيهاً وفقدوا الثقة في معتقداتهم البالية التي يوضحها الروائي في مقامات مختلفة منها: «اقتربت من البيت فإذا فيه صوتان. ولما اقتربت أكثر وتبينت إذا أهات ملتدة، وكلام بذيء، نظرت من تلك النافذة القديمة فإذا معلمي بعينيه المغمضتين دائخ من لذة تأتبه من أعماقه! غبت عن الكنيسة أياماً... لأن معلمي كان قدوتي الأول أراه ملاكاً بلبوس بشر، ليس للخطيئة سلطان عليه... أضح أن معلمي بعطيته القليلة استعبد الأرملة وأخذ منها جسدها؟!»³⁹، فمن المؤلم حقاً أن يشعر المرء بالاغتراب عن واقعه ومعتقداته، واضطراب اليقين في نفسه الذي يصيبه عندما تبين الحقائق المزيفة التي ما لبثت تطارده وتزيد من الهوة بينه وبين واقعه المعاش.

د- الحضور الأنثوي في الرواية الجزائرية

ولا يتوانى عبد الرشيد هميسي أثناء طرحه عن الخوض في قضية المرأة التي عمدت الحقيقة إضمارها بسبب الحضور الأبوي منذ اليونان وحتى عصور متقدمة، أما بالنسبة للمرأة العربية فقد حفظت كرامتها وصانها الدين الإسلامي الذي عمد في مقامات كثيرة على الحث على قيمة المرأة ودورها الهام في التربية الصالحة والتعليم الذي به تزدهر الأمم. يقول: «على امتداد الطريق الذي أخذ من عمري ساعات، لم أكن أفكر إلا في شيئين: الله، ومريم؛ لقد كنت أشعر بنشوة جموح وأنا أفكر في ذلك، كان الوجود من قبل ضيقاً وخانقاً لكنه الآن فسيح كأنه لا حدود له.»⁴⁰، فالمرأة بشكل عام والمرأة الصحراوية بشكل خاص تنبع من خوالجها روح نقية طيبة يؤمن الصحراوي بقداستها كما يؤمن الآخرون بذلك، تلك المخلصة لدينها وقلبها وثقافتها العربية الرصينة.

ويضيف عبد الرشيد هميسي في وصفه للمرأة الصحراوية التي لقبها بلقب العفاف والأخلاق "مريم" التي كانت لها مكانة عظيمة في القرآن الكريم فقد ذكرها الله عدة مقامات منها قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾ [سورة مريم/ الآية 15] لذلك تناص الروائي مع أفصح الكلام وأعجزه: «أما مريم فإني لما ذكرتها ذبت عشقا. ولقد ذكرت قولها: "أقدار الله فوق كل شيء" فقلت في نفسي: "ها إن أقدار الله ستجمعنا مرة ثانية وللأبد" لم أكن أدري من قبل أن بحري وسمائي خلقا في عيني بدوية بين بلدي وبلدها غربة وحرب. أدركت الآن أني كنت أركض وراء قدرتي الذي خط لي ذات قدم. لقد ساقنتي الأقدار من فرنسا إلى صحراء الجزائر لتتقذني من نفسي المتمردة»⁴¹، فصورة المرأة الصحراوية حضرت بقوة في هذا المتن الروائي "الملحد بقي

بن يقظان" باعتبارها تيمة ديناميكية لتشكيل الفضاء النصي لما في هذه التيمة من تفاصيل لا يدركها عالم الرجال.

ولا يتردد الروائي لوهلة في الولوج إلى قلب الصحراء ذات الفضاء الغرائبي المتراوح بين الواقع والخيال المليء بالرموز والإيحاءات المختلفة التي تتجاوز المألوف عن الصحراء: «أيقنت أن الله كريم جدا عندما طوح بي في هذه الصحراء لكي أعرفه. وكريم جدا لما خلق مريم بتتك العينين الزرقاوين اللتين وهبتا قلبي الحياة بعدما ظننته مات»⁴²، فحالة الصفاء والأمن التي نقلها الروائي لم تكن معهودة من قبل في الكتابة الإبداعية ولا في تصور الانسان عنها بحكم طبيعتها القاسية التي ألفها السمع: «أتذكر سي لمين وهو يقول لي: "لقد بشرت في المنام أنك ستؤمن بعد أن يصيبك ضنك، لذلك ذكرت لك قول الله ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ لكي تكون مخرجك" لا زلت أذكر عينيه الجاحظتين قليلا، كانتا معذبتين كعيني نبي حزين، روحه كانت صافية كقطرة مطر. بعد أن أخبرني بالمنام الذي رأى فيه عتقي، ودعني وفي عينيه دمعتان مالحتان. كنت أنني سهرتي بالقول سرا: "ما أعجب الأقدار، أذهب إلى الصحراء ملحدا فتردني مؤمنا!"⁴³، لقد امتلك الروائي قدرة على قلب مفهوم الصحراء إلى رغبة جامحة في النفس لابد من تحقيقها بزيارة الجنوب.

واستخلاصا لما سبق، يبدو أن الرواية الجزائرية مثلت مرحلة انتقالية مقننة من الحداثة إلى ما بعدها فاختلفت كثيرا عما كانت عليه، على اعتبار أن مرحلة ما بعد الحداثة عمدت إلى زحزحة الأسس والمعتقدات التي كانت تفرضها الحداثة في فكرة النسق وضرورة انغلاقه على السياقات الخارجية، لأنها قد تشوه خصوصية الجنس الأدبي، لذلك عاش الأدب طويلا في كنف الأدبية إلى غاية القرن الواحد والعشرين الذي شهد فيه الأدب انفتاحا غير معهود على مختلف الفنون والمجالات الأخرى وباتت جزءا مهما في تشكيله.

احتلت السياحة مركزا هاما في الأدب ولاسيما الرواية الجزائرية على اعتبار أن الأدب تعبير عن الواقع الجزائري في مرحلة ما بعد الكولونيالية، فقد حاولت الرواية استدراك ما حل بالمجتمع الجزائري بعد الاستعمار وما خلفه من ضرر بليغ مس مختلف المجالات وخلقت بنية من الأنساق المضمرة التي طمرت الثقافة ردحا طويلا من الزمن، تحت مسميات الأكاديمي والأدب الرسمي الذي احتل مركزا سلطويا انتقل بصورة لافتة إلى تهيميش المكان أيضا، وخلق طبقيّة بارزة في بنية المجتمع الجزائري تميز بين الشمال والجنوب ومن بينها عالم الصحراء والكثبان الرملية في مقابل الشمال.

أضف إلى ذلك؛ فقد مثلت ظاهرة الكثبان الرملية والنخيل معبرا سياحيا خلايا في خضم الأعمال الأدبية الجزائرية، فرغم ثروتها الهائلة التي تزخر بها في مختلف المجالات بقيت تمثل هامشا يستبعد الناس زيارته بسبب طبيعته الوعرة التي رسمت كصورة ثابتة عن هذا المكان حاول الروائي عبد الرشيد هميسي في روايته المعنونة ب: "الملحد بقي بن يقظان" قلب مفهومها في محاولة منه لخرق النسق المؤسسي الذي خلق ثنائية المركز والهامش في السياسة وانتقل تدريجيا إلى الأدب والنقد وسائر الفنون الإبداعية.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد 14، مادة (روى).
- ² عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 25.
- ³ محمد صابر عبيد و سوسيت البياتي: المتخيل الروائي سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2015، ص 09.
- ⁴ خليفة غيلوفي: التجريب في الرواية العربية بين رفض الحدود وحدود الرفض، الدار التونسية للكتاب، تونس ط 1، 2012، ص 08.
- ⁵ سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط 1، 2012، ص 231.
- ⁶ يمى العيد: الرواية العربية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط 1، 2011، ص 15.
- ⁷ حمزة درادكة وآخرون: مبادئ السياحة، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2014، ص 13.
- ⁸ نقولا ميشال فتوش: السياحة نهر الأفكار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1999، ص 174.
- ⁹ نقولا ميشال فتوش: السياحة نهر الأفكار، مرجع السابق، ص 17.
- ¹⁰ جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص 09.
- ¹¹ جمال بدران: الأدب السياحي، دار المعارف، القاهرة، دط، ص 59-60.
- ¹² عوينان عبد القادر: السياحة في الجزائر الامكانيات والمعوقات، مرجع سابق، ص 32.
- ¹³ نقولا ميشال فتوش: السياحة نهر الأفكار، مرجع سابق، ص 07.
- ¹⁴ جمال بدران: الأدب السياحي، مرجع سابق، ص 31.
- ¹⁵ خليفة غيلوفي: التجريب في الرواية العربية بين رفض الحدود وحدود الرفض، مرجع سابق، ص 19.
- ¹⁶ حسني محمد حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط 2، 1983، ص 11.
- ¹⁷ بوزيان بغلول: الرواية الجزائرية الجديدة متى؟ لماذا وكيف؟ قراءة من منظور النقد الثقافي، الجزائر، ط 1، ديسمبر 2020، ص 101.
- ¹⁸ عبد الله الغدامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2005، ص 15.
- ¹⁹ جاك دريدا: هوامش الفلسفة، تر: منى طلبة، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط 1، 2019، ص 73.
- ²⁰ عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2022، ص 73.
- ²¹ عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، المصدر نفسه، ص 21.
- ²² عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 87-88.
- ²³ عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، مصدر سابق، ص 09.
- ²⁴ نقولا فتوش: السياحة نهر الأفكار، مرجع سابق، ص 37.
- ²⁵ عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، مصدر سابق، ص 10.
- ²⁶ المصدر نفسه، صفحة نفسها.
- ²⁷ المصدر نفسه، ص 70.
- ²⁸ المصدر نفسه، ص 71.
- ²⁹ المصدر نفسه، ص 72.
- ³⁰ عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، مصدر سابق، ص 71.
- ³¹ المصدر نفسه، ص 75.
- ³² المصدر نفسه، ص 73.
- ³³ عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، ص 76.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص 74.
- ³⁵ المصدر نفسه، ص 75.
- ³⁶ المصدر نفسه، صفحة نفسها.
- ³⁷ نقولا ميشال فتوش: السياحة نهر الأفكار، مرجع سابق، ص 81-82.
- ³⁸ عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، مصدر سابق، ص 133.
- ³⁹ المصدر نفسه، ص 20.
- ⁴⁰ عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، مصدر سابق، ص 133.
- ⁴¹ المصدر نفسه، ص 133-134.

⁴² المصدر نفسه، ص 134.

⁴³ المصدر نفسه، ص 136.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2022.

ب- المراجع:

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد 14، مادة (روى).
- بوزيان بغلول: الرواية الجزائرية الجديدة متى؟ لماذا وكيف؟ قراءة من منظور النقد الثقافي، الجزائر، ط 1، ديسمبر 2020.
- جاك دريدا: هومش الفلسفة، تر: متى طلبية، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط 1، 2019.
- جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2014.
- جمال بدران: الأدب السياحي، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
- حسني محمد حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط 2، 1983.
- حمزة درادكة وآخرون: مبادئ السياحة، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2014.
- خليفة غيلوفي: التجريب في الرواية العربية بين رفض الحدود وحدود الرفض، الدار التونسية للكتاب، تونس ط 1، 2012.
- سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط 1، 2012.
- عبد الله الغدامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2005.
- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
- محمد صابر عبيد و سوست البياتي: المتخيل الروائي سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2015.
- نقولا ميشال فتوش: السياحة نهر الأفكار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1999.
- يمنى العيد: الرواية العربية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط 1، 2011.